

3. 2- عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد :

إن تعليم الطلاب علمين في وقت واحد, يشغل الطلاب ويعرضهم للفشل والإحباط, وذلك لأن عقل الإنسان محدود, وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد, وفي ذلك يقول ابن خلدون "أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً, فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر, فيستغلطان معاً ويستصعبان, ويعود منهما بالخيبة, وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصراً عليه, فربما كان ذلك أجدر بتحصيله

كما أنه نادى أن يتم تعليم القراءة والكتابة ثم الانتقال إلى تعليم القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه, وهو ينتقد المعلمين في عصره لأنهم يصرون على تحفيظ المتعلمين الصغار القرآن الكريم, قبل تعلم القراءة والكتابة ويقول أن القرآن الكريم هو كتاب الله, وليس لنا أن نقلده, وليس له تأثير في اللغة قبل أن يفهم الناشئة معانيه ويتدقون أساليبه, ويدركون مقاصده, ويكون ذلك بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة, وليس العكس مراعاة للترتيب المنطقي. كما أن تركيز ابن خلدون على حصر التعلم في علم واحد, في الزمن الواحد, يؤدي إلى تمرين العقل, ثم يتقبل العلوم الأخرى بسهولة, ويقول علماء التربية في ذلك أن تدريب العقل بمادة من المواد يجعله قادراً على التفكير في المواد الأخرى ويمكنه في الإجابة في كل مادة, وهذا بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى.

4. 3- التدرج في تدريس العلوم للمتعلمين :

وهذا من الأشياء التي نادى بها ابن خلدون, وذلك بأن يبدأ المعلم مع طلابه بالبسيط الذي يقبله عقله, ثم يتدرج معهم مستخدماً التكرار مع استعمال الأمثال الحسية, وبذلك يتم للمتعلم الحصول على العلم ويقول ابن خلدون في ذلك "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج" وقد ذكر الحصري أن ابن خلدون قرر ثلاث قواعد عامة للمعلم وهي :

1- على المعلم أن لا يخلط بمباحث الكتاب الواحد بكتاب آخر .

2- أن لا يطيل الفواصل بين درس وآخر .

3- أن لا يخلط على المتعلم علمين معاً .

ونلاحظ أن ما قاله ابن خلدون لا يختلف عما ينادي به علماء التربية في الوقت الحاضر, من كيفية التعامل مع المتعلم وخاصة في المراحل الأولى, حيث نادى بالاهتمام بالمعاني العامة, والابتعاد عن التفاصيل, واستخدام الأمثلة الحسية, وفي ذلك يقول "يكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب وبالإجمال وبالأمثال الحسية"

كما أن التكرار الذي طالب به ابن خلدون بقوله "يحصل العلم في ثلاث تكرارات, وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه", هو ما تنادى به التربية الحديثة وقد ذكر ناصر, أن المتعلم إذا كرر عملاً معيناً فهذا يسهل عليه التعلم, كما أن تكرار العمل عدة مرات يكسبه نوعاً من الثبات, ويستطيع المتعلم أن يصحح الأخطاء إن وجدت .

كما أن التجارب الحديثة تدل على أن الاستمرار في تكرار ما تعلمناه يساعد على ثباته في الذهن, وبعض التجارب تقول أننا ننسى حوالي 60% من المواد التي يتم تعلمها في حالة عدم التكرار.

5.4- عدم الشدة على المتعلمين :

لقد انتقد ابن خلدون أسلوب العقاب الذي كان سائداً في عصره, وطلب من المعلمين استخدام الرحمة واللين مع الطلاب فقال: "ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد في التأديب", واعتبر أن مجاوزة الحد في العقاب له أضرار على الطلاب ويعمل على إفساد أخلاقه, وبذلك لا يتحقق الهدف من التعليم, ويقول "من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر, وحمل على الكذب والخبث".

وهذا القول لابن خلدون يظهر رأيه في العقاب, حيث يرفض الشدة على المتعلمين, لأنها مضرّة بالمتعلم وتعمل على إفساد أخلاقه وتؤثر على شخصيته, وتعمل على إكساب المتعلمين سلوكيات غير مرغوب فيها. وتزيد القلق والتوتر والخوف في نفوسهم, وقد أشارت دراسات علماء النفس إلى أنه في حالة عدم تمكن الطفل من التخلص من التوتر النفسي, فإن ذلك يؤدي إلى العدوان والانحراف السلوكي, وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والهروب من المدرسة وغير ذلك من مظاهر الجنوح, ومن النظريات الحديثة التي تطرقت إلى الابتعاد عن الشدة على المتعلمين واستخدام الثواب كعامل من عوامل التعزيز, نظرية ثورنديك وفحواها أن الإنسان إذا اقترن عمله بما ينشرح له صدره كالثواب تمكن هذا العمل في نفسه ورسخ في ذهنه, أما إذا اقترن عمله بما ينقبض له صدره كالعقاب فإن هذا العمل لا يتمكن في نفسه ولا يرسخ في ذهنه وذلك على اعتبار أن الإنسان يميل بطبيعته إلى ما يسره, ويتجنب ما يسؤوه

ومع أن ابن خلدون عارض الشدة على المتعلمين لآثار السلبية, إلا أنه لم يدعو إلى التسامح الكلي مع الأطفال فقد أباح العقاب البدني في الضرورة القصوى وبما لا يزيد على ثلاثة أسواط, بشرط أن يكون العقاب آخر العلاج, وبعد استخدام الترغيب والترهيب والتوبيخ والعزل والإهمال, إذن العقاب البدني مباح لتعديل سلوك معين ولكن في أضيق الحدود, وكوسيلة لردع الطلاب من الوقوع في الأخطاء, ويجب أن يتفاوت في شدته حسب الذنب المرتكب, ويقول يوسف أن العقاب من ضرورات التربية, ولكن يجب أن يختلف في شدته ونوعه حسب الذنب, لأنه نوع من الألم مقصود لذاته, لكي يشعر به الذي قصر أو أهمل, فلا يعاود ما عمله سابقاً, فهذا الرأي لابن خلدون في عدم الشدة مع الطلاب يوافق مع ما يذكره علماء التربية وعلم النفس في الوقت الحاضر.

6.5- إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم تخل بالتعليم :

يرى ابن خلدون أن من العوامل التي تقف في طريق التعليم اختصار كتب العلم فقال: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق في العلوم يولعون بها ويدونون منها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن, وصار ذلك مخللاً بالبلاغة وعسراً في الفهم", وقد ضرب أمثلة على ذلك بآبن الحاجب في الفقه, وآبن مالك في قواعد اللغة العربية, وقد انتقد ابن خلدون ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار, لأن فيها مفاهيم ومعان لا يستطيع المتعلم فهمها بدون الإطالة والتكرار, ولأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين, لعدم وجود الاستعداد والقدرة لفهم المختصرات.

ويقول ابن خلدون أن الاختصار يفسد التعليم ويخل بالتحصيل ويخلط على المبتدئ في التعليم بإلقاء الغايات من العلم وهو لم يستعد لقبولها .

وهذا يوافق الأبحاث التربوية المعاصرة في أن المتعلم يجب أن يستعد للتعليم، وأن لا يرغم على تلقي العلوم دون الاستعداد الكافي، لأن عدم الاستعداد والإرغام يضيع الجهود المبذولة في التعليم

7.6- طرق التدريس :

لم يطلب ابن خلدون من المعلمين استخدام طريقة واحدة في التدريس، وأجاز لهم استخدام الطريقة التي تناسب قدرات وميول وإمكانيات الطلاب لأن التعليم عنده صناعة والصناع يختلفون في طرق صناعتهم، ولكل صناعة طرق مختلفة ويحق للمعلم أن يستخدم كل الطرق أو بعضها لتحقيق الأهداف المرجوة، وهذا الرأي يتفق مع ما يقوله رجال التربية في الوقت الحاضر من أن أحسن الطرق هي التي تناسب المادة الدراسية ومستوى الطلاب، ومع أن ابن خلدون أباح استخدام الطرق التي تناسب المعلم إلا أنه يشجع على استخدام طريقة المناقشة فالتعليم عند ابن خلدون يهدف إلى حصول المتعلم على ملكة العلم حيث يصبح على درجة عالية من الفهم وليس فقط حفظه دون فهم وتعمق، لذا انتقد ابن خلدون الطريقة القيروانية التي كانت في زمانه تركز على الحفظ بشكل كبير، ووصف الطلاب بأنهم يلتزمون الصمت والسكون التام دون مشاركة .

المحاضرة الخامسة :

نظرية العصبية:

يرى ابن خلدون أن العصبية هي المحرك للتاريخ الاجتماعي للمجتمعات ، وهي وراء عملية التغير الاجتماعي بشكل عام ، منطلقا في تفكيره من مبدأ العلاقات الجدلية بين العمران البدوي والعمران الحضري ، مفسرا نشأة الدول وانحلالها بناء على آلية العصبية ، فهي التي تؤدي إلى الملك ، وهي نفسها التي تؤدي إلى زواله ، ونعتقد أن نظريته هذه لا تقل في الأهمية عن اكتشافه لعلم العمران البشري والاجتماع الإنساني (علم الاجتماع).

وهو يرى أن العصبية ظاهرة اجتماعية ملتزمة بالعمران البدوي على الخصوص ، وتظهر بشكل أقل حدة في العمران الحضري ، وهي تحمل معنى وظيفيا ، نظرا لما يترتب عليها من آثار في قيام الدول وانهارها في العمران الحضري ، وتنظيم حياة الأفراد في العمران البدوي ، وهي الوعاء الذي يحفظ حياة المجتمع الإنساني وأساس بقائه وصورته ، أي إن لها وظائف اجتماعية وسياسية مهمة في المجتمع بدويا كان أم حضريا.

ولا شك أن نظرة ابن خلدون للعصبية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية ، كانت مشتقة من بيئته الخاصة ، وهي بيئة كانت الصلة فيها قوية بين الحياة البدوية بمجتمعاتها القبلي من جهة ، والحياة الحضرية بمجتمعها السياسي من جهة أخرى ، وكان التأثير قويا ومستمرا بينهما ، إلا أن طابع الحياة القبلية غالبا كان هو المسيطر ، حيث كانت الدول تقوم وتنهار من جراء تآلب القبائل أو تشتتها.

والعصبية أو العصبية التي يقصدها ابن خلدون لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي ، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم ، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب ، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته ، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية

الجماعة ، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصابة فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة ، وليس بين فرد وآخر فقط ، وفي حال تعرض العصابة إلى عدوان فيظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية ، وهذا " الوعي العصبى " هو الذي يشد أفراد العصابة إلى بعضهم وهو ما يسميه ابن خلدون " بالعصبية " التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه .

فهي القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة والمطالبة ، ومن أهم ميزات هذه الرابطة " العصبية " أنها ليست علاقة محصورة بين فرد وآخر داخل العصابة ، وإنما هي رابطة بين الفرد والمجموعة في وحدة متكاملة ، فالفرد حينما يتعصب لعصبته فإنما يتعصب لنفسه ، وكذلك العصابة حينما تناصر أحد أفرادها فإنما هي في الحقيقة تناصر نفسها ، أي أن هناك تضامنا متبادلا بين الفرد وعصبته في الداخل والخارج ، فيكون مجال التواصل بين الفرد وغيره محدودا بحدود عصبته. فهي تمارس ضغطا على الأفراد من أجل الخضوع لها ، فهي بهذا تضمن التماسك بين أعضائها ، وفي هذا سر قوتها ، بالإضافة إلى أن التضامن المتبادل بين الفرد ومجموعته لا يسمح بقيام فوارق أو درجات للاستغلال داخل العصابة بين الأفراد ، وإنما قد يكون الامتياز الوحيد الذي يحظى به الفرد داخل العصابة ، هو ذلك الاعتبار في كونه قد قدم خدمات لصالح العصابة مجتمعة ، بمعنى أن الامتياز يرتبط في درجته بقدر تقديم خدمة لأهل عصبته لا بما حصل عليه الفرد منها ، ومهما يكن الأمر ، فإن الأساس الذي يبنى عليه الاعتبار هو مدى خدمة الفرد للمجموعة لا ما يحققه من منافع لنفسه .

وتتضامن العصابة مع الفرد بقدر تضامنه معها واحترامه لمصالحها ، وإذا تسبب في الضرر لها سرعان ما تنبذه ، فيفقد الحماية والتعاون والتعاقد ، الأمر الذي يضطره إلى أن ينضم إلى عصابة أخرى ، لأنه لا يستطيع العيش في مجتمع قبلي قائم على العصائب ، وهذا ما حدا به إلى القول إن من ضرورات العصابة التلازم بين أفرادها ، وفي إطار المجتمع القبلي فإن الفرد لا يجد حريته ومنعته وقوته إلا داخل العصابة ، فهي الحقل الذي يمارس فيه الفرد نشاطه الاجتماعي ، فضلا عن كونها القوة الجماعية التي تمنح الفرد القدرة على المواجهة.

يرى ابن خلدون أن للعصبية مفهوما سوسيوولوجيا متميزا فقد اعتبرها ظاهرة اجتماعية بالإضافة إلى كونها ظاهرة طبيعية في المجتمع الإنساني ملازمة لوجود العصبية ، ملازمة العوارض الذاتية ، أي إن وجود العصابة يستدعي وجود العصبية ، فالعصبية موجودة فيها " بالقوة " وتصبح موجودة " بالفعل " حين وقوع عدوان على أهل العصابة ، ووظيفة العصبية يلخصها ابن خلدون من الناحية العامة بجملة ذات دلالة مهمة قائلا : " إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه " .

ويرى ابن خلدون أن وظيفة العصبية تنشأ في مبدئين أساسيين :

المبدأ الأول : ضرورة التجمع الإنساني ، أي ضرورة أن يعيش الأفراد داخل مجتمع انطلاقا من شعور كل فرد بضرورة تعاونه مع الآخرين من بني جنسه من أجل قضاء الحاجات الضرورية لبقائه ، لأنه عاجز واقعيا عن القيام بقضاء كل حاجاته منفردا ، وقد قال بهذه الضرورة مفكرون عديدون قبل ابن خلدون منهم الغزالي والفارابي ، وأرسطو على سبيل المثال ، وقد أقر ابن خلدون بذلك معتبرا العصبية ظاهرة طبيعية من ظواهر الاجتماع الإنساني .

المبدأ الثاني : ضرورة وجود الوازع لأن الشر أو العدوان أمر طبيعي متأصل في النفس البشرية ، باعتبار الإنسان مجبولا على الخير والشر معا ، على التعاون والعدوان ، فقيام الحياة الاجتماعية يتطلب ضرورة وجود وازع ، والوازع عند ابن خلدون هو الحاكم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ، بمعنى وجود سلطة تحفظ للمجتمع تماسكه وتعمل على تقوية التعاون بين أفراده وكبح عدوان